

حلقات-توم-وجيري-جديدة-للمرشد-خامنئي



هل الصدام العسكري بين الولايات المتحدة وإيران أمر حتمي؟ منذ يناير (كانون الثاني) الماضي، عندما اغتال الأمير كيون الجنرال قاسم سليمان، تصدت الدوائر السياسية في العواصم الكبرى لهذا السؤال من دون التوصل إلى توافق في الآراء. في وقت كتابة هذه السطور، كان السؤال يرتد مرة أخرى، حيث تخاطر الناقلات الإيرانية التي تنقل النفط إلى فنزويلا بالاتفاف على طوق أميركي مصمم لإبعادها. هدد الملاي «بعواقب وخيمة» إذا حاولت الولايات المتحدة إيقاف الناقلات. وبما أن الجمهورية الإسلامية تفتقر إلى القوة البحرية لمرافقة الناقلات وصولاً إلى الموانئ الفنزويلية، فإن «العواقب الخيمة» لن تأتي في شكل معركة بحرية في منطقة البحر الكاريبي. وبدلاً من ذلك، بحسب صحيفة «كيهان» اليومية التي تعبر عن آراء المرشد علي خامنئي، فقد ذكرت في افتتاحية الاثنين، أن الانتقام قد يأتي في شكل مصادرة واحدة أو أكثر من ناقلات النفط الأميركية في مضيق هرمز. خيار آخر هو استهداف جميع ناقلات النفط في المجرى المائي لفترة محددة كما فعلت إيران في عام 1988. وقد جادل حشمت الله فلاحت بيشه، الرئيس السابق للجنة الأمن القومي في المجلس الإسلامي، بأن الصدام أمر لا مفر منه؛ لأن الصراع بين طهران وواشنطن «فريد في نوعه» ولا يترك أي مجال للتراجع من قبل أي من الجانبين أو محاولة وساطة من قبل طرف ثالث. وهكذا عندما يصل التوتر إلى نقطة معينة، فإن الطريقة الوحيدة لتخفيفه هي تفجير الجزء العلوي من الغلاية. ويعرض عالم الاجتماع الإيراني سعيد مؤيدفر حجة من زاوية مختلفة، حيث يدعي أن النظام الخميني يدرك أنه يقترب من يوم البيع، وأنه سيفعل أي شيء لتأخير ما لا مفر منه لفترة أطول ولو قليلاً، وأن كلمة «أي شيء» يمكن أن تشمل صداماً عسكرياً قصيراً وحاداً مع الولايات المتحدة قد يثير مشاعر وطنية إيرانية، لكنه يترك النظام في مكانه بقشرة جديدة من الشرعية. يثير تحليل موقع «فارس» الإخباري التابع لفيلق «الحرس الثوري» أيضاً احتمال حدوث صدام بالادعاء بأن الولايات المتحدة أضعف وأكثر تأثراً بأزمة فيروس «كورونا» من أن تسعى لحرب طويلة الأمد مع الجمهورية الإسلامية. ونقل الموقع عن نانسي بيلوسي، رئيسة مجلس النواب الأميركي، قولها إن «الناس يتضورون جوعاً في جميع أنحاء أميركا»، وبالتالي فهم لا يرغبون في الانجرار إلى حرب خارجية. كما نقل الموقع عن باربرا سلافين، التي وصفته وسائل الإعلام الإيرانية بأنها «متقنة أميركية رائدة»، قولها إن طهران قد هزمت بالفعل سياسة «أقصى ضغط» للرئيس ترمب، وبالتالي لا تحتاج إلى تقديم أي تنازلات خوفاً من اشتباك عسكري. كثيراً ما صدر عن وسائل الإعلام في طهران تلميحات حول «مفاجأة أكتوبر» لتعطيل ترمب عن ترشحه لانتخابات الولاية الثانية. على الرغم من كل ذلك، فمن الورد التخمين بعدم حدوث اشتباك عسكري، لكن علينا أيضاً ألا ننسى أن جيش طهران عرضة لارتكاب زلات مثل إسقاط طائرة ركاب أوكرانية بثلاثة صواريخ ومأساة «النيران الصديقة» الأخيرة في خليج عمان والتي حدثت كلها عن طريق الخطأ. هناك ثلاثة أسباب لذلك: السبب الأول هو أن الشاغل الأكبر للنظام الخميني، شأن أي أنظمة أيديولوجية أخرى، هو الحفاظ على الذات. لم تكن أي حكومة عادية لتوقع معاهدة «بريست ليتوفسك» التي أمر لينين تروتسكي بالتوقيع عليها مع الألمان الذين يتخلون عن جميع «ممتلكات» روسيا الأوروبية تقريباً. ابتلعت الصين الشيوعية في عهد ماو حبة «التطبيع» المبريرة مع النمر الورقي الأميركي بعد أن قضى على الروس في معركة نهر ووسوئي عام 1969. وبعد ثمانية أشهر، بدأت بكين محادثات سرية مع واشنطن، في وجود إيران وباكستان وسيطيين. في عام 1991، أجبر الخوف من الاستهداف القادم الرئيس السوري حافظ الأسد على الانضمام إلى الغزو الذي قادته الولايات المتحدة للعراق. سمع العديد من العقائديين الذين قد لا يكونون على دراية بقصته نصيحة لينين لرفيقه في أبريل (نيسان) 1918 حول «الصمود لمدة 100 يوم أخرى مهما كانت». السبب الثاني الذي يجعل الملاي يتجنبون الاشتباك العسكري هو أن نظامهم الآن في أضعف حالاته منذ أربعة عقود. قد يتغلبون على العاصفة الاقتصادية الناجمة عن إعادة فرض العقوبات عن طريق تجميد جميع المشاريع التنموية، ورفع أسعار المرافق المملوكة للدولة، وبيع الفضة العائلية بأسعار زهيدة، وما لا يستطيعون مواجهته هو خسارة الشرعية وتآكل مستمر لقاعدة دعمهم. السبب الثالث أنه على الرغم من الجدال الأخير، فقد يلعب الملاي ببطاقتهم الرابحة، لا أقصد الإهانة، ليثبتوا مرة أخرى أن «المرشد الأعلى» آية الله علي خامنئي يمسك الآن بجميع مفاصل السلطة كما لم يحدث من قبل. تتكون الورقة الرابحة المعنية من تقاليد الملاي بالاستسلام في اللحظات الأخيرة. فآية الله الخميني، الرجل الذي أنشأ النظام، لعب بالورقة في كل مرة استند فيها ظهره إلى الحائط، في عامي 1980 و1988. يطلق الخميني على ذلك اسم «المرونة البطولية»، وقد كتب على نطاق واسع لإعطاء التكتيك بعض المرجعية اللاهوتية مع إشارات إلى الإمام الحسن بن علي. اليوم لم يعد خامنئي يخشى أن يستخدم خصومه داخل المؤسسة الحاكمة التطبيع مع العالم الخارجي، وهو أمر لا يمكن أن يحدث من دون بعض التطبيع مع الولايات المتحدة كسلاح لصالحهم. بعد قيامه بعملية تطهير واسعة النطاق في الجيش، عزز خامنئي مكانته كوجه سياسي للمؤسسة العسكرية. وعلى صعيد رجال الدين، فإن الملاي الذين ربما دخلوا في تحد معه إما ماتوا، أو سنهم أصغر من أن يدخلوا معه في مواجهته علنية. وقد عين رجاله الذين تم انتقاؤهم بدقة في مناصب السلطة الرئيسية. ومنذ آخر انتخابات للمجلس، كان له أيضاً هيمنة كاملة على البرلمان المصطنع الذي ضم بعض العناصر الجامحة في الماضي. الأسبوع الماضي، دعا المرشد خامنئي إلى تشكيل «حكومة حزب الله» الصغيرة، ويلاحظ أن الرئيس حسن روحاني و«أولاد نيويورك» باتوا من كبار السن ولم يعودوا يحاكون «حزب الله» بما فيه الكفاية، ويتجهون نحو الخروج. قارن خامنئي صراعه مع «الشیطان الأكبر» الأميركي بصراعات توم وجيري في عالم كرتون هوليوود. في الكثير من المناسبات، يعتقد المشاهدون أن الفأر المرح قد صنع له خصيصاً لكي يتفادى القط ويرتد بحيلة جديدة. مرت أربعة عقود من صراع القط والفأر على الطراز الإيراني بسبب السداجة ونفاد صبر الأميركيين الذين أرادوا دائماً نتائج سريعة وأخذوا ما تمنوه في الواقع، وسمحوا للفأر المؤذي للعب بالعيش ليوم آخر من أجل مغامرة أخرى. فهل سيعيد التاريخ نفسه؟

"نقلا عن "الشرق الأوسط" *